المقدمة



المقدمة

الحمد لله الذي كرمنا باللسان العربي المبين، وأنار قلوب عباده المتقين بنور كتابه المبين، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين... وبعد:

فإن من أجل ما بأيدي أبناء هذه الأمة القرآن الكريم، كتاب الله الخالد، نزل به جبريل عليه السلام على قلب أطهر البشر محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ([[1]](#footnote-2))، فهو أوثق نص وصل إلينا عن طريق الرواية الصحيحة، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تكفل الله عز وجل بحفظه، فقال عز اسمه: ([[2]](#footnote-3))، وجاء تحديا لفصاحة العرب وبيانهم، فأذهل فحول الشعراء والأدباء، وهو المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة.

ومما لاريب فيه أن القرآن الكريم حظي بعناية علماء العربية، وعدّه مصدرا أصيلا في دراسة اللغة العربية، لذا فإن اللغة العربية –بكل فنونها- تبقى مدينة بالفضل للقرآن الكريم؛ لأنه حفظ لها سرها وأدام كيانها، وسلمها من البعثرة والضياع؛ ولذلك فهو أوثق نص وأقوى دعامة استندت إليها هذه اللغة المقدسة بإجماع العلماء والباحثين، فانبرى لدراسته أئمة ثقات، فقامت علوم عديدة في خدمته، ومنذ صدر الإسلام والمسلمون يتنافسون في خدمة القرآن الكريم قراءة ورسمًا وتفسيرا.

وكان علم القراءات من أبرز تلك العلوم التي نالت اهتمام علماء الإسلام في المشرق والمغرب، إذ تعد رافدا ثرّا للدراسات النحوية واللغوية؛ لأنها من أوثق الشواهد وأصحها سندًا وأدقها ضبطًا.

لذلك فقد اقتضت حكمة الله سبحانه في قرآنه الكريم أن تتغاير أوجه قراءته، تيسيرا لهذه الأمة النطق بحروفه بلا تكلف أو تعسر، والإيجاز في تصوير معانيه واستيعاب أحكامه، فنزل على سبعة أحرف تبشيرا لهذه الأمة بسعة الرحمة التي أولاها الله عباده، فأنزله على أحرف متعددة، تيسيرا منه تعالى لهم.

ويعد الإمام النسفي رحمه الله، واحدا من الذين برزوا في ميدان القراءات، ويظهر ذلك جليا في تفسيره المسمى «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، فكان تفسيره جامعا لوجوه الإعراب والقراءات، كما صرح بذلك في مقدمته قائلا: ((قد سألني من تتعين إجابته كتابا وسطا في التأويلات، جامعا لوجوه الإعراب والقراءات...، خاليا عن أباطيل أهل البدع والضلالة))([[3]](#footnote-4)).

ونظرا لأهمية هذا العلم، فقد استعنت بالله على أن يكون موضوع بحثي متعلقا بكتاب الله عز وجل، وأن أكتب في أحد التفاسير التي عني أصحابها بالقراءات القرآنية، وما إن عرضت هذا الأمر على أستاذي الفاضل الدكتور محمد خضير مضحي حتى عرض عليّ تفسير «مدار التنزيل وحقائق التأويل» للإمام النسفي، وذكر لي أنه يمكن دراسة التوجيه النحوي واللغوي للقراءات القرآنية الواردة فيه، وحثني على قراءته بتأن.

ولما رأيت أن التوجيه النحوي واللغوي كل واحد منهما يصلح أن يكون رسالة قائمة بنفسه، فقد وقع الاختيار على الجانب النحوي، فكان موضوع رسالتي: «التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في تفسير النسفي».

وتأتي أهمية هذه الدراسة من تناولها لمفسر جليل، له الأهمية والمكانة بين المفسيرين، إذ أنني لم أجد فيما اطلعت عليه دراسة سابقة لموضوع القراءات القرآنية في تفسير النسفي، وتوجيهها نحويا، فبدأت بقراءة التفسير وجرد القراءات القرآنية، واستخراج ما يتعلق بموضوع الدراسة.

ولعل من أهم الأسباب التي دعتني لاختيار هذا الموضوع والكتابة فيه، ما يأتي:

* ارتباطه الوثيق بكتاب الله عز وجل.
* أهمية دراسة القراءات القرآنية، فهي مصدر من مصادر الاستشهاد النحوي.
* تدبر كتاب الله عز وجل في مفاتيح النحو التي تفتح المغاليق.
* أهمية تفسير الإمام النسفي بين كتب التفسير، واشتماله على هذا الكم من القراءات، عرضا وتوجيها وترجيحا، لذا فهو جدير بالدراسة.

وأما أهمية هذا الموضوع، فإنه يكمن في كونه دراسة متصلة بكتاب الله الكريم وقراءاته المختلفة، وفي كونه يظهر آراء النحويين واللغويين من تلك القراءات، فهو يخدم كتاب الله تعالى، وهذه من الغايات السامية التي لابد أن يسعى إليها كل مسلم.

وأما منهجي في البحث، فهو منهج استقرائي وصفي، وذلك بإيراد النص القرآني بحسب المسألة التي دار حولها الحديث، وتوجيه النسفي للقراءة الواردة في ذلك النص، مع بيان آراء علماء اللغة والقراءات.

ويمكن تلخيص آلية العمل في هذا البحث بما يأتي:

1. استقراء تفسير الإمام النسفي للوقوف على الشواهد التي توضح منهجه في تناوله للقراءات القرآنية.
2. تصنيف القراءات القرآنية بعد جمعها على وفق أبواب النحو.
3. نسبة القراءات القرآنية إلى قرائها وتوثيقها من مظانها.
4. نسبة الآيات في القراءات القرآنية إلى موضعها من القرآن الكريم.
5. تخريج الأحاديث الشريفة من مظانها.
6. نسبة الشواهد الشعرية وتوثيقها من مصادرها الأصلية ما أمكن.
7. ترجمة موجزة للأعلام غير المشهورين.

ومن واقع قراءتي لتفسير الإمام النسفي رحمه الله بكامله، وبعد استقراء جميع مواضع القراءات التي اشتمل عليها هذا التفسير، واستخراج ما يتعلق بالرسالة، بدأت بجمع مادة البحث من مصادر متنوعة، ككتب التفسير اللغوي وكتب معاني القرآن وإعرابه، وكتب حجج القراءات القرآنية وتوجيهها، ومصنفات النحاة قدامى ومحدثين، وكتب التراجم المتصلة بسيرة حياة الإمام النسفي، وغيرها من المصادر التي لابد لدارس القراءات القرآنية وتوجيهها نحويا من الإفادة منها.

وفي ضوء استفادتي من توجيهات أستاذي المشرف السديدة، وآرائه القيمة، بدأت بالكتابة مستعينًا بالله تعالى.

وقد اقتضت خطة البحث أن تكون في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، اشتملت المقدمة على سبب اختيار الموضوع، وأهميته، وخطة البحث ومنهجي فيه.

وكان **التمهيد**مدخلا إلى الرسالة في ثلاثة محاور، **الأول**: التوجيه النحوي «تعريفه لغة واصطلاحا»، **والثاني**: في القراءات «تعريفها وأركانها وأقسامها»، **والثالث**: الإمام النسفي، إذ أني ذكرت فيه ترجمة موجزة لهذا العالم الجليل.

وأما **الفصل الأول**: فقد جاء في دراسة توجيهات الإمام النسفي النحوية للقراءات القرآنية الخاصة بالأسماء، وفيه ستة مباحث، ذكرت توجيهات النسفي للاسم حين يكون بين الرفع والنصب، وبين الرفع والجر، وبين النصب والرفع، وبين النصب والجر، وبين الرفع والنصب والجر، وبين التنوين وتركه.

وأما **الفصل الثاني** فقد عقدته لدراسة توجيهات النسفي النحوية للقراءات القرآنية الخاصة بالأفعال، وفيه سبعة مباحث: تناولت توجيهات النسفي للفعل حين يكون بين الرفع والنصب، وبين الرفع والجزم، وبين النصب والرفع، وبين النصب والجزم، وبين قراءتي الخطاب والغيبة، وبين البناء للمعلوم والمجهول، وبين تمام «كان» ونقصها.

وأما **الفصل الثالث** فقد جاء لدراسة توجيهات النسفي النحوية للقراءات القرآنية الخاصة بالحروف، وفيه ستة مباحث، تناولت توجيهات الإمام النسفي للحروف، كفتح همزة «إن» وكسرها، والهمزة بين الاستفهام والخبر، والواو بين الحذف والإثبات، و«ما»، والحروف بين الاعمال والإهمال، و«أو» بين تحريك واوها وسكونه.

ثم ختمت الرسالة **بخاتمة** تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الرسالة، ثم أوردت **المصادر والمراجع** المعتمدة فيها.

وأما مصادر هذه الرسالة، فكانت كثيرة ولله الحمد، وجاءت في فنون متعددة، مثل كتب المعاني والتفسير والقراءات وكتب النحو والصرف والأعاريب، ومن يطلع على الرسالة يجد ذلك مثبوتًا في صفحات الرسالة، فقد تنوعت بين مصادر التفسير، وكتب القراءات، وكتب الاحتجاج للقراءات، وكتب النحو، وغيرها.

ومن دواعي الأمانة والإخلاص والاعتراف بالحسنة أن أتقدم بثنائي وامتناني وشكري وتقديري –بعد شكر الله عز وجل- لكل من مد يد العون والمساعدة لي في أثناء عملي في هذا البحث، وأخص بالشكر والثناء أستاذي العالم الموجه الدكتور محمد خضير مضحي حفظه الله ورعاه على جميل رعايته وكرم أخلاقه وحسن مشورته، وعلى ما بذله من جهد في قراءة فصول الرسالة حرفًا حرفًا، إذ كان له الرعاية والمتابعة لإرشادي إلى مواطن الخلل في الرسالة لتداركها منذ أن تفضل -مشكورا-بالإشراف على هذه الرسالة وإعانته لي على إكمالها، فقد أمدني بفيض عطائه الأبوي وأغنى الرسالة بآرائه وتوجيهاته القيمة، فتشرفت بآرائه السديدة وملاحظاته القويمة، فجزاه الله عني خير الجزاء، وأجزل له المثوبة والأجر في الدنيا والآخرة، وأدعو الله أن يمد في عمره وينفعنا بعلمه، إنه سميع الدعاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة لما سيبدونه من ملاحظات وتوجيهات تسمو بالبحث وتقوم محاولاته المتواضعة، لإخراج هذا العمل في أحسن صورة، فجزاهم الله عني خير ما يجزي به عباده الصالحين.

وأخيرا... فما هذه الرسالة إلا جهد متواضع أبتغي به وجه الله الكريم، فأسأله أن يكون خالصا له سبحانه، فإن أصبت فهو فضل الله تعالى وتوفيقه، وإن تك الأخرى فمني، فلله الحمد والمنة على ما أنعم وأكرم وفتح وألهم، ([[4]](#footnote-5)).

عمر صبحي معتوك

1. () سورة الشعراء.الآية 193-195 . [↑](#footnote-ref-2)
2. () سورة الحجر، الآية 9. [↑](#footnote-ref-3)
3. () مدارك التنزيل: 1/3. [↑](#footnote-ref-4)
4. () سورة هود، الآية 88. [↑](#footnote-ref-5)